Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإلى هنا نمسك عن متابعة سير الحياة بماضى أدبنا ، بعد الذى بان لنا من اتجاه مجراه مع الحياة العامة التى أفلتت أزمتُها من ضبطِ القيادة ، فمضت فى سيرها إلى قضائها المحتوم .

ونقولها كلمةً موجزة : إن الأدب لم يكن لينجو من نُكر الحياة العامة التى أرادت له أن يتخلى عن عنصر الصدق الفنى الذى هو مناط فنيته وجوهر أصالته ، وعزلت الأدب عن مكانته الرفيعة من القيادة والسيادة ، ليكون ظلاً للسلطان وبوقًا للحكام، وداعيةً لكل مذهب وكل وضع ، وتجارةً لفئة من المرتزقة المأجورين. لاينفعلون بغير الرغبة أو الرهبة ولا يتأثرون وجدانيا إلا بخزانة الممدوح أو جاهه وسلطانه .

ولا عتاب ولا ملام ، فما كانوا غير بشرٍ يعيشون بمنطق عصرهم ويسايرون أوضاع دنياهم . . .

وأذلَّ الحرصُ أعناق رجالٍ ، كان المفترض فيهم لو أعانت الظروف وصحَّت الضمائر وسلم الوجدان ، أن يتولوا عن المجتمع الغافل أمانة القيادة الوجدانية التى تنكر الفساد وتتمرد على الظلم والطغيان ، وتطالب بتصحيح الأوضاع المريضة ، وتدعو إلى حياة أفضل . . .

لكن التيار جرفهم ، فلم ينج منهم من محنة المصادرة الوجدانية غيرُ أديبٍ تحرر — راضيًا أو كارهًا — من إغراء المادة وجاذبية الجاه . وتخلص من أغلال الرغبة والرهبة ، فلم يرض ، أو لم يستطع ، أن يكون داعيةً لطاغية أو مطرب قصر أو نديم سلطان، أو تاجراً يبيع بضاعته لمن يدفع الثمن، كائنًا من كان ...

أديب مثل « ابن بسام الأندلسى » الذى عفَّ عن المورد الآسن ، ضنًّا بنفسه على الذلة والهوان . فعكف على تأريخ الأدب الأندلسى وتدوين (ذخيرته) الفنية ، وترك صناعة الأدب لمن يعرفون من معاصريه أساليبَ الاتجار بها ، وقال فى ذلك :

« ومع أن الشعر لم أرْضَه مركباً، ولا اتخذتُه مكسباً ، ولا ألفتُه مثوى ولا متقلباً ، إنما زُرته لماماً ، ولمحته تهمُّماً لا اهتماماً، **رغبةً بعز نفسى عن ذله** ، وترفيعًا لموطئ أخمصى من محله، فإذا شعشعتْ راحُه لم أذُقْه إلا شميما، ولا كنتُ على الحديث